﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩﴾ [الحجر: 89]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

علاقة الأمر بترك زخرف الدّنيا، وخفض الجناح للمؤمنين، بإعلانه أنّه هو النّذير المبين

لمّا أمر الله تعالى رسولَه بمتاركةِ الكافرين، وبعدم الاكتراث بهم، قد يتوهّم متوهّم منهم أنَّهم في حلٍّ منَ الإيمانِ أو أنَّ رسول الله ﷺ لم ينذرهم ولم يحذّرهم من عذاب الله فجاءت هذه الآية.

وأيضًا لَمّا أمَرَ الله تعالى رسولَه ﷺ بألّا يَحْزَنَ عَلَى الكافرين لعدم إيمانهم، وأمَرَهُ بِخَفْضِ جَناحِهِ لِلْمُؤْمنينَ، أمَرَهُ أنْ يُعْلِمَ الكافرين وغيرَهم أنَّهُ هوَ النَّذيرُ المُبينُ؛ لِئَلّا يَظُنَّ المُؤْمِنونَ أنَّهُم لَمّا أُمِرَ عليه السلام بِخَفْضِ جَناحِهِ لَهُم خَرَجوا مِنْ عُهْدَةِ النِّذارَةِ، فأمَرَهُ تعالَى بأنْ يَقولَ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: لَكُم ولِغَيرِكُم[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾: أَصْلُ (نذر): يَدُلُّ على تَخْويفٍ أو تَخَوُّفٍ، ومنه الإنْذارُ: الإبلاغُ؛ ولا يَكادُ يَكونُ إلّا في التَّخويفِ[2]، والنَّذيرُ: المُنْذِرُ، والجَمعُ: النُّذُرُ، والتَّناذُرُ: إنْذارُ بَعْضِهم بَعْضًا[3]، ومِنْهُ النَّذْرُ، وهوَ أنَّهُ يَخافُ إذا أخْلَفَ، والنَّذْرُ أيْضًا: ما يَجِبُ، كَأنَّهُ نُذِرَ، أيْ أوجِبَ[4]، والمراد بالنَّذيرِ في الآية: المُحَذِّرُ مِنْ شَيءٍ يَضُرُّ.

المَعنى الإجماليُّ:

مهمَّة الرّسول ﷺ تبليغ الرِّسالة، والإنذار بعقاب الكفر والعصيان

بيَّن الله ﷻ في الآية وظيفة الرَّسول ﷺ، فقال: وقُلْ يا محمَّدُ ﷺ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/497.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عباد، المحيط في اللّغة: (نذر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نذر).

لِلمُشرِكينَ: إنّي أنا النَّذيرُ الذي قد أبان إنذارَه، وأظهَرَ الحَقَّ لكم، أُنذِرُكم عذابَ اللّهِ إن لم تُؤمِنوا به[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة الوصل بالواو في الآية الكريمة:

المبلّغ عن الله منذر مبين، ومتواضع للمؤمنين

قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾، وفيه يُحتمل أن تكون الجملة معطوفة على قولِه ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾، فالمَقولُ لَهُم هَذا القَوْلَ هُمُ المُتَحَدَّثُ عَنْهُم بِالضَّمائِرِ السّابِقَةِ في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ وقَوْلِهِ: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ فالتَّقْديرُ: وقُلْ لَهُم، وتكون جملة ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ اعتراضيَّة، ويأتي فيها القول بأنَّها للاحتراس كما تقدَّم[2]، ويحتمل أن تكون الجملة معطوفةً على ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، أي: تواضع للمؤمنين وقل للكافرين: إني أنا النذير المبين، فيكون مجيء جملة ﴿وَٱخۡفِضۡ﴾ تتميمًا لِلمعنى.

غرضُ الأمرِ في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ﴾:

تهديد الكافرين وتحذيرُهم بلفظ (قُلْ)

الأمر هنا على معنى الإرشاد وليس على معنى وجوب الامتثال، وفائدته تهديد الكافرين بهذا القول.

فائدة حذف متعلَّق ﴿وَقُلۡ﴾:

نذارة رسول الله ليست مقصورةً على مشركي مكّة، بل هي وصف ثابتٌ له

لمّا كان التّقدير (قل لهم) أي للكافرين، كان حذف الجار والمجرور لإفادة عموم المقول لهم، أي قل لهم ولغيرِهم[4]، بمعنى أنَّ كونه ﷺ نذيرًا مبينًا ليس مقصورًا عليهم، بل هو وصف ثابتٌ له ﷺ، ويدخل فيه الكافرون المذكورون في السياق دخولًا أوّليًّا.

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/128، والواحديّ، الوجيز، ص: 598، والسمعاني، تفسير القرآن: 3/152.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/83.

(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/198.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 6/497.

غرضُ التّوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا﴾ في السّياق:

ذكر وصف النّذارة دون البشارة لمناسبة المقام

أُكِّدَت الجملة بـ (إنَّ) و﴿أَنَا﴾ وبكونها جملة اسميَّةً لكمال العنايةِ بمضمون المعنى، ولأنَّ المخاطبين المقول لهم هذا القول منكرون لكونِ سيِّدنا محمدٍ ﷺ رسولَ الله أشدَّ الإنكار، وللإشارة إلى رجحان وصفِ النّذارة على وصفِ التّبشير في تحذير المنكرين المكذّبين[1].

فائدةُ استعمال ضمير الفصل ﴿أَنَا﴾:

الفصل بين النعت والخبر، وتأكيد المسند إليه

أفاد ضمير الفصل تأكيد المسند إليه وتقريرَه، بمعنى أنا وليس غيري النّذير المبين كما أفاد أن قولَه ﴿ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ خبرٌ وليس صفةً لضمير المتكلِّم في ﴿إِنِّيٓ﴾

بلاغةُ القصر ونوعه في السّياق الكريم:

قصر على أنّ (أل) في النذير للجنس، ويمكن أن يكون إضافيًّا أو قصر قلب

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾، تحتمل الجملة أن تكون على القصر إن كانت (أل) في ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ للجنس، فيكون القصر إضافيًّا، لأنَّهم لمّا كذّبوا رسول الله ﷺ وصفوه بأنَّه شاعر أو ساحرٌ، ليكون قصرَ قلبٍ أي لستُ شاعرًا ولا ساحرًا كما تزعمون فإنّي نَذيرٌ مُبينٌ[2]، أو يكون المعنى على قصر القلب كذلك، والمعنى: لست كَما تَحسَبونَ أنَّكُم تَغيظونَني بِعَدَمِ إيمانِكُم فإنّي نَذيرٌ مُبينٌ غَيْرُ مُتَقايِضٍ مَعَكُم لِتَحْصيلِ إيمانِكُم، وإن كانت (أل) في ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ للعهد بمعنى إني أنا النّذير الذي عهدتّموني بسبب تكرّر إنذارِه لهم من قبلُ فلا قصر في الجملة، لتفيد الجملةُ تقريرَ ما يضمرونه ولا يتكلَّمون به عنادًا منهم وتكذيبًا[3].

بلاغةُ اجتماع وصفي ﴿ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

رسول الله ﷺ منذرٌ بلسان المقالِ وبلسان الحالِ

لّما كان رسول الله ﷺ أبين من سائر الأنبياء؛ لكونِه منذرًا بلسانِ

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/198.

(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/198.

(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/198، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/83.

الحالِ؛ لكونِ وجودِه ﷺ من أشراطِ السّاعة، كما أنَّه منذرٌ بلسانِ المقالِ جمع بين الوصفين في الآية[1].

نكتةُ ذكرِ ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ دون (البشير):

بعض النّاس لا ينفع معه سوى التّخويفِ والتّهديد، ولا يجدي وعظه

لمّا كان الكلام مقولًا للكفرة المكذّبين، وكان على وجهِ الوعيد والتّهديد ناسب الاكتفاء بوصف النّذارة وعدم التّعرّض لوصف البشارة؛ إذِ النِّذارَةُ هيَ الإعْلامُ بِحَدَثٍ فيهِ ضُرٌّ وفيه إشعارٌ بأنَّ بعضَ المكذّبين مَنْ لا ينفعهم سوى التّخويف والتّهديد.

نكتةُ بناء صفة ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ على وزن فعيل:

النّذارةُ وصف ثابتٌ لرسول الله ﷺ

أفاد مجيء اللفظ بصيغة فعيل التي هي بمعنى مفعِل أنَّه ﷺ منذِرٌ، ونكتة التّعبير بصيغة فعيل الإيذانُ بأنَّ النّذارة وصف ثابتٌ لرسول اللّه ﷺ.

نكتةُ مجيء ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ خبرًا ثانيًا:

رسول الله ﷺ هو الآتي بالبيّنات، والمبين للتّكاليفِ

لمّا جاء لفظ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ خبرًا ثانيًا لـ﴿إِنِّيٓ﴾، أفاد الإخبار عن رسول اللّه ﷺ بوصفين ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ و﴿ٱلْمُبِينُ﴾، فيكون الخبر الثّاني على معنى العموم؛ ليدلَّ على أنَّه ﷺ مبينٌ في كلامِه، وفي ما يدعوهم إليه، ومبين الرشدَ من الغيِّ، فهو الآتي بجميع البيِّنات الوافية، ومبيِّنٌ لجميع التّكاليفِ[2]، ولمّا جاء الخبر مقترنًا بالنّذير دلَّ على خَصوصيَّة إبانتِه في نذارتِه لهم، أي: أنذركم ببيان وبرهان أنَّ عذاب اللّه نازل بكم إن لم تؤمنوا، ففي مجيء ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ خبرًا ثانيًا مقترنًا بـ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ تحريضٌ على الاجتهاد في التحذير.

نكتة مجيء ﴿ٱلْمُبِينُ﴾، بصيغة اسم الفاعل:

النّذارة لإقامة الحجّة، فلا برهانَ للمكذّبين والكافرين

لمّا جاء الوصف بصيغة اسم الفاعل دلَّ على أنَّ رسول اللّه ﷺ

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/198.
(2) ابن عادل، اللباب: 11/490.

قد قام بفعل الإبانة في دعوتِه وفي نذارتِه وأنَّه متّصفٌ بها اتّصافًا ثابتًا، ليفيدَ قيامَ الحجّة عليهم، فلا برهانَ لهم في الكفرِ والتّكذيب.

بلاغة الكناية في سياق الآية:

الإنـذار تخويف ووعيد

قولُه تعالى: ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾، وفيه أنّه لمّا جاء الكلام في سياق النّهي عن الالتفات إلى ما متّع اللّه به الكافرين والنّهي عن الاكتراث بهم جاءت هذه الآية لتأكيد الأمر بالتّرقي، ليفيد الكلام بطريق الكناية الأمر بمتاركتِهم[1]، فيكون التّرقّي بالأمر بالمتاركةِ أشدَّ عليهم من عدم الاهتمام بهم، وفي المتاركةِ تخويف لهم ووعيد شديد.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/83.